قضيّة التعايش السلميّ

بقلم الدكتور عزة الخص

قد يكون غريباً بالنسبة الى باحث جغرافي تعلم اول ما تعلم التمييز بين الجهات الجغرافية الاربع ، وعلم اول ما علم الاهتداء الى الجهات الجغرافية الاربع – قد يكون غريباً بالنسبة اليه ان يتشكك في وجود شيء واضح جلي محدود اسمه الشرق وشيء آخر واضح جلي محدود اسمه الغرب ، لكل منهما موقعه الثابت ، وحدوده المتميزة ، وخصائصه الاقتصادية والاجتماعية ، ومقوماته العقلية ، وملامحه الخلقية والنفسية .

وقد تشكك مثلنا الاستاذ الكبير ساطع الحصري في كتابه الجديد « دفاع عن العروبة » فتساءل اين يقع الشرق المطلق واين يقع الغرب المطلق ، وقال : ان الشرق كلمة تتناقلها الالسن والاقلام ، تارة مستقلة بذاتها ، وطوراً منسوبة الى غيرها : الشرق ، الشرقي ، العقلية الشرقية ، الحضارة الشرقية ، العادات الشرقية ، الثقافة الشرقية ، الى آخر ما هنالك من الشرقيات .. التي نسمعها او نقرأها ، او نقولها في مختلف المناسبات ، ولكننا اذا ما تساءلنا : ماذا يقصد من كلمة الشرق والشرقي بالضبط ، وجدنا انفسنا امام فوضى كلامية غريبة ، وبلبلة فكرية شديدة .

وفي الواقع ليس في الجغرافية شرق مطلق وغرب مطلق ، فلكل بلد شرق وغرب ، بل لكل مدينة وكل بيت . والشرق بالنسبة الي هو غرب بالنسبة الى جاري الايمن . ولو فرضنا الارض منبسطة او أخذنا مرتسمها على سطح منبسط ، كان لنا ان نقول بأن الشرق هو الواقع إلى جهة اشراق الشمس ، والغرب هو عكسه ، ولكن حتى في هذا الفرض يظل التحديد عائماً لا يرتكز الى اساس مرئي او معلوم : فأين ينتهي الشرق واين يبدأ الغرب ؟ هل الفاصل بينهما البوسفور ام البحر الاحمر ام جبال القوقاز أم جبال اورال ام مرتفعات البلقان ام البحر المتوسط ؟ وبتعبير آخر هل يشمل الشرق قارتي آسية واوقيانوسية وحدهما ام يضم ايضاً افريقية ؟ وهل يقتصر الغرب على الامريكتين وأوروبة كلها ام جزء من اوروبة فحسب ؟ كل هذه الاسئلة ليس لها جواب جغرافي حاسم .

ولو رحنا نعتمد على خطوط الطول وحدها لرأينا مثلاً ان ليبيا وايطاليا والدانيمارك والنروج ذات مواقع متقاربة ، وان تونس والجزائر ومراكش تقابل تماماً فرنسة واسبانية وانجلترة ، حتى ان مدينة الجزائر تقع على خط طول واحد مع باريز ، ومدينة مستغانم الجزائرية تشارك مدينة لندن في خط طول واحد . فلم والحالة هذه جرى العرف على اعتبار اسكاندينافيا وانجلترة وفرانسة من ديار الغرب ، واعتبار افريقية الشمالية من بلاد الشرق ، رغم ان السواحل الاطلسية لمراكش مثلاً أبعد عن باريز نحو الغرب باثنتي عشرة درجة ؟.

ولو اخذنا البيئة الجغرافية من ناحية عرضانية ، لما وجدنا ايضاً من الاسباب ما يبرر تفريق الشرق عن الغرب . فالامريكتان ممتدتان على طرفي خط الاستواء كامتداد آسية واوستراليا او آسية وافريقية . وفي الاولى كما في الثانية اقاليم متباينة متدرجة ، باردة وممتدلة وحارة وصحراوية . فعلى اي اساس نقول اذن ان الهند من الشرق والمكسيك من الغرب او ان سيبيرية شرقية وكندا غربية ، وموقع كل اثنتين منهما لا يختلف عن خط الاستواء ؟

هذه الملحوظة البسيطة كافية لان تبطل مزاعم الذين يقولون ان البيئة الجغرافية مسؤولة عن اختلاف الشرق والغرب ، وهي التي تفرض ان يكون الشرقيون اهل زراعة او رعاة انعام ، وان ينزعوا الى الخيال والاحلام والفلسفة والتصوف والآداب ، وان ينأوا عن العلم والمادة والصناعة .

وقد هدمت اليابان هذا المزعم عندما أصبحت امة صناعية ذات غوص وتبسط في العلوم المادية ، وهي ممدودة من دول الشرق الاقصى ، وأثبت الاتحاد السوفيتي مقدرته على التصنيع والبحث العلمي والاختراع مع انه على رأس ما يسمى بالكتلة الشرقية ، وذهبت مع الريح تلك الاسطوة التي اجترها علماء الاقوام دهراً طويلاً ، والقائلة بأن بيئة روسيا المديدة الآفاق تجعل من ابنائها شعباً صوفياً مغرقاً في الخيال .. فلقد اضحت روسيا اليوم زعيمة القائلين بالمادية والعاملين بوحيها وهداها .

ولا أضل ممن لا يزالون يركبون رؤوسهم زاعمين ان للمحيط الجغرافي الاثر الاوحد او الاوزن في تكوين الشعوب وتكييفها ، وتخطيط الملامح الازلية لحياتها الفكرية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فليس في الدنيا بلد ينبت الفلسفة وآخر تجود فيه الموسيقى او التصوير ، او تحتم عليه طبيعته النزوع الى سعادة الروح او ايثار سعادة الجسم .. وليس في الدنيا طبيعة جغرافية تفرض نوعاً معيناً من الحكم يصمد على الدهر ، او نمطاً من طراز الحياة لا يتبدل .

ان البيئة الطبيعية لا تستعبد الا الشعوب القريبة الى الطبيعة ، في الشرق كانوا ام في الغرب . ومرحلة الفطرة هذه تسبق مرحلة التفتح في العقل الانساني الذي يقصم ظهر الطبيعة .

ثم انه من المشاهد ان في كل بلد وفي كل بيئة بل وفي كل بيت جماعة روحانيين وآخرين ماديين ، خياليين وواقعيين ، علماء وشعراء . والبلد

« إن العرب لا يفهمون التعايش على أنه إقرار بالأمر الواقع ! »

الزراعي يصبح صناعياً متى تهيأت له الظروف والوسائل ، والاب الشاعر قد ينجب ابنا يقوى الميكانيك .. وما احسب ان جبال سويسرا الثلوجة هي التي فرضت على السويسريين صناعة الساعات ، وانما فرضها عقلهم وتدبيرهم .

وكم يضحكني - في هذه المناسبة - ما الف بعض الباحثين الصاقه باجدادنا القدامى حين يقولون ان طبيعة بلادهم الصحراوية جعلت منهم امة افقية التفكير ، قادرة على التخيل السطحي وعاجزة عن حسن التصرف في الشئون المادية البحتة ، كأنهم نسوا ان عرب الجاهلية كانوا يزاولون التجارة كاحسن من يزاولها ، وكانوا اذا فرغوا من المبايعة والمراباة في اسواقهم الموسمية عكفوا على استماع الشعر الرفيع والادب الرقيق ، حتى شبه بعضهم هذه الاسواق بانها في الوقت ذاته بورصات مالية كبورصات لندن ونيويورك في يومنا هذا، ومنتديات ادبية كمنتديات فرنسا في القرن الثامن عشر .

واريد ان اخلص من هذه الخاطرة الاولى الى هذه الحقيقة الواضحة وهي ان ليس للشرق ملامح جغرافية تميزه عن الغرب وتحتم عليه نوعاً من طراز المعيشة ونمط الاجتماع .

فليس في الاجتماع والاقتصاد قضاء محتوم وقدر مكتوب .. والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية اليوم انتهت بعد تطور طويل الى ان تكون اولا عملية عقلية تختمر في الرؤوس المفكرة وثانياً خططاً ومناهج توضع وتنفذ . ولئن كانت مظاهر الحياة لاتزال تختلف من بلد الى آخر ، فليس لان هذا شرقي وذاك غربي ، بل لان الظروف التي طرأت على كل منهما قد اوجدت هذا التباين ، وهو على كل حال تباين عرضي وموقوت .

ولا جناح علي ، قبل ان اغلق هذه الملاحظة الاولى من ان انهيها بأسطورة قد تكون اليوم مدعاة فكاهة وعبث ، ولكننا عشنا فيها مع اساتذتنا في فرنسا سنوات طويلة ، وكنا نأخذها مأخذ الجد ، ونؤمن بها ارسخ الايمان . وهي نظرية للاستاذ (اندره سيغفريد) يقول فيها: «ان الطبيعة الجيولوجية للارض الفرنسية هي المسؤولة عن تنوع الاحزاب السياسية والمذاهب الاقتصادية في فرنسا ، فالخط الفاصل بين نواب اليمين في المجلس النيابي الفرنسي هو الخط الفاصل على ارضي فرنسا بين مناطق الصخور الجيرية ومناطق الصخور الغرانيتية .. وذلك ان الارض الجيرية تنفذ ما يهطل عليها من ماء السماء وترشحه الى الاعماق الباطنية ، ويضطر السكان الى التجمع حول الآبار القليلة او الينابيع النادرة ، فلا يستغلون من الارض الا اقلها ، وتكون الملكية لديهم صغيرة بالطبع ، والمعيشة عسرة ، فلا بدع ان يكونوا من اليساريين .. اما الارض الغرانيتية فهي كتيمة ، تحتفظ بالماء على سطحها ، فيتوافر في كل مكان ، ويتفرق السكان في كل جهة ، ويستغلون معظم الارض ، فالملكية تكون لديهم واسعة ، فلا غرابة ان يكونوا من الارستقراطيين اليمينيين ..»

اعود الى حديث الشرق والغرب ... لألاحظ ان الفاصل بينهما من الناحية التاريخية ليس اكثر وضوحاً منه في الناحية الجغرافية . فكم من بلد سمي شرقياً في حقبة من تاريخه وغربياً في فترة اخرى . فمقدونيا مثلاً كانت غربية عندما كانت تنتظمها الامبراطورية الرومانية ، ثم اصبحت شرقية عندما انشطرت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية . وروسيا وبلاد البلقان كانت غربية عندما كانت الكنيسة المسيحية موحدة ، واصبحت شرقية عندما انفصل الاسقفان فوسيوس وشيرولاري في القرن التاسع والعاشر عن الكنيسة البابوية .

انه لمن الخطل الاستمرار على تقسيم العالم الى مجموعتين شرقية وغربية لهما مصالح متضاربة . فالمصالح قد تعارضت عصوراً طويلة ولا تزال تتعارض احياناً بين فرنسا وانجلترا وفرنسا والمانية وانجلترا وامريكا .. كما ان المصالح تتعارض اليوم بين سورية وتركيا وهما بلدان متجاوران وينتسبان الى دين واحد ، وبين الهند وباكستان وهما صقعان متجاوران بل ومتداخلان ..

***

وامر الان الى فكرة ثانية احسب انها تلقي بعض الضياء على راهن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لكل بلد ، ليست ذات اثر عميق في كيان البلد وحده بل لها الاثر ذاته في العلاقات الدولية وفي نظم البلاد الاخرى[1] .

فالزواج المتعدد او الوحيد ، والطلاق المباح والممنوع ، وتكاثر السكان او ضمورهم ، وتحديد النسل او تركه على غاربه ، وتعميم التعليم او تضييقه ، وعمل المرأة او انصرافها الى الحياة البيتية ، وترخيص الهجرة او منعها ، وتشجيع الزراعة او حماية الصناعة .. كلها امور لا يقتصر اثرها على البلد الماثلة فيه بل يتعداه الى جميع البلاد الاخرى . فكما انه لم يعد في العالم مكان للاقتصاد المنطوي على نفسه والمكتفي بذاته ، فلم يعد في العالم مكان للمجتمع القابع في قوقعة .

وقد عالج القضية بالذات المؤتمر العالمي للسكان الذي التأم في روما بين اغسطس وسبتمبر من عام ١٩٥٤ ، وكان مدار البحث فيه تزايد سكان الارض والعلاقة بين ذلك وبين الموارد الطبيعية المتوافرة . فقد لاحظ المؤتمرون مثلاً ان تكاثر السكان في بعض مناطق الارض يستغرق قدراً متزايداً من المواد الاولية التي كانت تصدر الى البلاد الاخرى المفتقرة اليها . وطبيعي ان يخل ذلك بالتوازن الاقتصادي العالمي ، ومتى

---

١ بعض الفقرات التالية مقتبسة عن كتابي (احوال السكان في العالم العربي) وهي محاضرات طبعها معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٥٥ .

اختـــل التوازن الاقتصادي تأرجحت العلاقـــات الدولية وبرزت الازمات السياسية.

وسجل اعضاء مؤتمر روما ان الوفيات منذ الحرب العالمية الثانية آخذة بالتناقص المستمر في معظم الدول ، نتيجة لتقهقر الامراض بسبب المكتشفات الطبية الحديثة . الا ان نسب الولادات لم تتناقص كثيراً ، بل زادت في كثير من البلدان كاوروبة الغربية مثلاً ، وخاصة فرانسا . ولذلك فان البشر آخذ في التزايد العددي بشكل يدعو الى التخوف. ففي البرازيل مثلاً كانت نسبة المواليد قبل الحرب العالمية الاخيرة تبلغ ٤٧ بالالف ، اي ان كل ١٠٠٠ ساكن كانوا يلدون ٤٧ مولوداً جديداً في السنة ، وكانت نسبة الوفيات ٣٠ بالالف ، اي انه كان يموت من كل الف مواطن ثلاثون سنوياً ، فكان محصول المواليد والوفيات هو زيادة السكان بمقدار ١٧ بالالف سنوياً . اما الآن ، فنسبة المواليد في البرازيل قد انخفضت الى ٤٤ بالالف ، ولكن نسبة الوفيات قد هبطت الى ١٨ بالالف والزيادة الحاصلة هي ٢٦ بالالف ..

فماذا يكون مصير بلد كهذا ؟ وماذا يكون مصير الدول التي تعتمد عليه في مشترى المواد الاولية اللازمه لها؟

ان الولايات المتحدة الامريكية تستهلك نصف المواد الاولية المستوردة من البلاد المتخلفة اقتصادياً ، وهذه البلاد يزداد استهلاكها لمنتوجها تبعاً لتكاثر سكانها ، لكن منتوجها لا يزداد ازدياداً محسوساً. ومن المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية تستورد النفط والفوسفات والحديد الخام والزنك والمنجنيز والرصاص والكبريت والبوتاس والكاوتشوك الخ.. فماذا يكون مستقبل الولايات المتحدة اذا حدث واصبحت البلاد المصدرة لهذه المواد الاولية تستهلكها كلها او جلها لسد حاجاتها الخاصة ؟

ان هذا المثال يفسر لنا الشيء الكثير من مناحي السياسة الامريكية الآيلة الى فرض نفوذها الاقتصادي وتنمية انتاج المواد الاولية في مختلف ارجاء الارض .

وهذا مثل آخر عن اثر الرغبات والحاجـــات الاجتماعية في السلم والحرب بين الشعوب ، وهو تضخم الشعب الالماني وعجز الارض الالمـــانية عن استيعابه والوفاء بحاجاته ، وانعكاس ذلك انعكاساً عنيفاً على العلاقات بين المانية وبين البلدان المجاورة لها ، التي تفيض بالمواد الاولية ولا تزدحم بالسكان .

« اننا نحب العرب لا نفهم التعايش السلمي على انه اقرار بالامر الواقع وتشبث بصيانته . فلا تعايش سلمياً ممكناً الا بعد تحرير الارض العربية في المشرق والمغرب — بمـــا في ذلك فلسطين السليبة وتوحيدها ، وقيام العلاقات العربية مع دول العالم قاطبة على اساس الحرية التامة والمساواة الكاملة ».

ويؤكد كبير الديموغرافيين الفرنسيين المعاصرين الاستاذ Sauvy ان المعاهدات الدولية التي أبرمت عقب الحرب العالمية الاولى ما كان يمكن ان يكتب لها البقاء ، لانهـا اهملت قضايا السكان ، فهي لم تعالج مشكلة الهجرة ، وليس من السهل ايضاح الازمة الاقتصادية والحرب العالمية الثانية دون الانتباه الى نتائج ايقاف الهجرة الى بلاد العالم الجديد وخاصة الى الولايات المتحدة الاميركية .

***

ولانتقل الآن الى فقرة ثالثة ، اجعلها دربـاً موصلا الى تصنيف الدول اليوم حسب اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

وليس ضرورياً ان يكون احدنا على دين ماركس وانجلز ليعترف ان من العوامل الجوهرية في التفريق بين الشعوب او التقريب بينها ، في غابر الزمن وحاضره ، هو الانتـــاج الاقتصادي . فالانسان الاول كان يقتات مما يجده مهيأ له في الطبيعة ، شـــأنه في ذلك شأن سائر الحيوانات . ولم يشعر الانسان بانسانيته ويدرك الفارق بينه وبين الحيوان الا عندما شرع يوجد بنفسه وسائل وجوده ، اي وسائل الانتاج ، وهي المرحلة التي بدأ فيها الانسان محاولة التخلص من استعباد الطبيعة المطلق ، والتغلب عليها وتسخيرها لحاجاته . فالانتاج في نوعه وفي كمه هو المميز لانماط المعيشة من البشر ، وهو المقياس المـــادي الذي يصلح حتى اليوم للتفريق بين التقدم والتأخر في مجالات الحضارة . قلت المقياس المادي . ولم اقل المقياس المعنوي . فقد يكون الشعور بالرحمة والتعاطف اكثر نماء في شعب اقرب الى الفطرة من شعب آخر غلبته حمى التفوق المادي .

ومهما دعا ولا يزال يدعو الى المزيد من انتاج وسائل الانتاج

تكاثر البشر وازدياد حاجاتهم. فالافواه الآكلة المتزايدة كان لها اثر واي اثر في توجيه تاريخ البشرية .

وقد كان الامر سهلاً عندما كانت الارض لا تضيق باهلها ، وكان بوسع البشر الارتحال السلمي من وطن شحت موارده الى مواطن اخرى لا تزال تحفل بالامكانيات. ومن ذلك الهجرات الكثيفة التي حدثت قبل العصور التاريخية وبعدها.

وكان من آثار تكاثر البشر والتزاحم على وسائل الانتاج: سيطرة الفرد على الفرد وانتزاع سبل معاشه، ثم سيطرة القبيلة على القبيلة ، ثم الامة على الامة الاخرى ، والدولة على دولة اخرى ، فكانت الامبراطوريات الاستعمارية .

وبكلمة وجيزة ، ان الانتاج ادى من جهة الى سيطرة الانسان على الطبيعة ، ومن جهة اخرى الى سيطرة الانسان على الانسان وسوء توزيع موارد الثروة بين الاقوياء والضعفاء.

هذا اوضح تيار في خضم التاريخ . وقد افضى الى نشوء تيار آخر مقوّم له ومصلح لمساوئه وهو تيار المصلحين والانبياء والرسل والفلاسفة وغيرهم. وهم الذين دعوا الى الرحمة والتآلف والعدل والانصاف والغلبة على النفس بدلاً من الغلبة على الغير.

فالأديان مثلاً حاولت حل التكاثر البشري وسوء توزيع الموارد بالحث على الاحسان والزكاة وعتق العبيد من جهة ، وعلى التقشف والترهب والتفكير في سعادة الآخرة من جهة ثانية . إلا ان التيار الاول كثيراً ما استطاع جرف التيار الثاني واستخدامه لمقاصده، فاصبح بعض رجال الدين في خدمة الملوك المستبدين حتى قيل في فرنسا مثلاً قبل الثورة الكبرى ان العرش والمحراب لا يفترقان ، ومن ذلك ايضاً استخدام الاستعمار للبعثات التبشيرية في المستعمرات ، وقد استطاع الاقطاعيون الاوروبيون ان يشنوا حروباً طويلة باسم الدين وهي الحروب الصليبية ، واهدافها الاقتصادية الاستعمارية كانت اوضح من اغراضها الدينية.

واني اجعل في التيار الثاني ايضاً جميع الحركات التي قامت لمنع الحروب والتخفيف من ويلاتها والدعوة الى التفاهم والتعاون في الميدان الدولي، والحض على اقامة العدالة الاجتماعية في صلب كل دولة . والاشتراكية في اساسها انما كانت لمقاومة التيار التسلطي الاستعماري من قبل فئات في الامة او من قبل امة على اخرى . ومعلوم ان الشيوعية لم تجد وسائل الدين كافية لمنع التسلط الانساني، بل وجدت فيها افيوناً يخدر الشعوب ويعدها بسعادة آجلة بدل السعادة العاجلة. وبتأثير التيار الثاني مضافاً الى كفاح الشعوب القومي ، تقوّضت الامبراطوريات الكبرى التي عرفها التاريخ: من الاسكندر وجنكيز خان الى شارلمان وشارلكان ونابليون وهتلر. وبتأثيرها ايضاً استقلت وتستقل المستعمرات والمحميات في عصورنا الحاضرة. وما تطور النظام الاستعماري البحت الى نظام انتداب ووصاية وكومنولث واتحاد الا مرحلة من مراحل زوال الاستعمار. وهو العامل الأول والأخير في تعذر التعايش السلمي، ومتى اندثر الاستعمار باشكاله المستترة والمكشوفة يصبح التعاون الحر بين البشر امراً ميسوراً .

وقد كان من نتيجة تفاعل البشر المتباين من حيث التسلط او الخضوع للتسلط ان تباينت الشعوب اليوم في نوع فاعليتها الاقتصادية وتطورها الاجتماعي ، فلا نزال نرى دولاً ذات اقتصاد تابع واخرى ذات اقتصاد متبوع، مع النتائج الاجتماعية التي تنجم عن ذلك .

***

والتقسيم المألوف اليوم يفرق في نشاط البشر الاقتصادي بين فاعليات ثلاث :

أ ـ الفاعلية الاولى : وهي المقتصرة على الرعى والصيد والتحطيب والزرع .

ب ـ الفاعلية الثانية : وهي المنصرفة الى الصناعة .

جـ ـ الفاعلية الثالثة : وهي التي يمارسها التجار والموظفون واصحاب المهن الحرة الخ ..

وقد لوحظ ان الفاعليات الاولى اقل ربحاً من الفاعليتين التاليتين ، لان نتاج الارض محدود بامكانيات مساحية وعضوية . ونمو الفاعلية الثالثة قد يكون دليلاً على تقدم الامة ورقيها كوفرة الاطباء والادباء والفنانين والمعلمين والمدرسين .

وقد حرصت الدول الاستعمارية دائماً على حصر مستعمراتها بالفاعلية الاولى لتظل سوقاً لها تبيعها مصنوعاتها بالثمن الاعلى وتشتري منها المواد الاولية بالثمن الادنى .

وتقسم الدول حسب نوع الفاعلية الاقتصادية التي يمارسها اكثر سكانها الى اربعة انواع ، سواء في الشرق ام في الغرب، في اميركا الجنوبية ام في آسية وافريقية :

أ ـ النوع الزراعي .

ويشمل البلاد التي تزيد نسبة الزراع فيها عن ٦٠ ٪ من مجموع سكانها العاملين ، ومن امثلة ذلك تركية والباكستان وجميع البلاد العربية . فنجد في الحولية الاحصائية للعمل ، التي اصدرها المكتب الدولي للعمل بجنيف عام ١٩٥٤ ، ان نسبة المشتغلين بالفاعلية الاولى ـ اي الزراعة ـ في تركية بلغت ٨٥,١٪ من مجموع السكان العاملين ، وكانت هذه النسبة ٩٩,٥٪ في الباكستان .

ونسبة المشتغلين بالزراعة والرعي في البلاد العربية تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ ٪

وتتسم هذه البلدان اجتماعياً بما يلي :

١ – كثرة المواليد : لاعتبار الاولاد اداة انتاج من جهة ، ولضعف الشعور بالمسؤولية الناجم عن عدم انتشار التعليم .

٢ – قلة انتشار التعليم : لان بذل التعليم – وخاصة الثانوي والعالي منه – يتعذر في مناطق يتبعثر فيها السكان ، فلا يمكن مثلاً تأسيس جامعة في كل قرية على عكس المدن .

٣ – سيطرة الاقطاع : وهذا ايضاً من نتائج فشو الجهل من جهة وحماية المستعمر من جهة اخرى ..

٤ – ضعف الدخل القومي والفردي .

ولذلك نجد ان اول عمل تضطلع به مثل هذه الشعوب عندما تنال حريتها هو البدء في التصنيع ، كما فعلت الهند وباكستان والصين وسوريه ولبنان ومصر .

ولا اظن ان هنالك مجالا للتساؤل عن مصير البشرية اذا انصرفت جميع الشعوب الى الصناعة بدلا من الزراعة ، فان الزراعة نفسها تصبح صناعة ترتكز الى الآلة ، ولن يعدم البشر موارد غذائية يستغلونها في المستقبل كموارد البحار والهواء ايضاً .

ب – والنوع الثاني من الفاعليات البشرية هو النوع الزراعي ذو الفاعلية الصناعية الثانوية .

وهو سائد في البلاد المشتغلة بالزراعة مع استثمار لبعض المناجم واهتمام محسوس بالصناعات . ومن نماذجه اليابان والبرازيل .

فالفاعلية الاولى تشغل في اليابان ٤٧,٤ ٪ من السكان العاملين و٥٧,٧ ٪ في البرازيل بينما تستغرق الفاعلية الثانية ٢٠,٩ ٪ من السكان العاملين في اليابان و١٦ ٪ في البرازيل .

جـ – النوع الصناعي

وتبلغ فيه نسبة الافراد العاملين في الصناعة ٣٠ ٪ على الاقل من مجموع السكان العاملين وتصل هذه النسبة الى ٤٨,٧ ٪ في بلجيكا ، و٤٧,٥ ٪ في بريطانيا و٤٣,٥ ٪ في سويسرا و٤١,٩ ٪ في المانيا الغربية و٣٦,٣ ٪ في النمسا ٣٤,٧ ٪ في الولايات المتحدة الاميركية .

ولا تشغل الفاعلية الاولى سوى ٥ ٪ من العاملين في بريطانيا و ١٢,٢ ٪ في الولايات المتحدة . وقد تأثرت هذه الدول بضياع الاسواق العالمية التي ارتبطت بالاتحاد السوفياتي ، ولذلك يتكل اكثرها حول الولايات المتحدة لمناهضة الكتلة الشرقية .

د – النوع الاشتراكي

وهو السائد في الاتحاد السوفيتي وبعض الجمهوريات الشعبية الاخرى ولا يتميز عن النوع الصناعي الا بالغاء التجارة والمصارف الخاصة وقلبها الى مصالح حكومية . واكثر ما يتميز به هذا النوع التطور السريع الموجه من الزراعة الى الصناعة .

ففي روسيا عام ١٩١٣ كان السكان العاملون يتوزعون كما يلي :

سكان زراعيون : ٧٥ ٪ – سكان صناعيون : ١٥ ٪ – مشتغلون بفاعليات ثالثة : ١٠ ٪

اما في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٩ فقد اصبح تقسيم السكان العاملين كما يلي .

سكان زراعيون : ٤٦,٤ ٪ – سكان صناعيون : ٣٥,٢ ٪ – مشتغلون بفاعليات ثالثة : ١٨,٤ ٪

***

واعود اخيراً الى دنيانا العربية الممزقة ، فاقرر اننا نحن العرب لا نفهم التعايش السلمي على انه اقرار بالامر الواقع وتشبث بصيانته . فلا تعايش سلمياً ممكناً الا بعد تحرير الأرض العربية في المشرق والمغرب – بما في ذلك فلسطين السليبة وتوحيدها ، وقيام العلاقات العربية مع دول العالم قاطبة على اساس الحرية التامة والمساواة الكاملة .

ان الأمة العربية قد فقدت بعض ازدهارها الاقتصادي منذ انقسمت الى دويلات مستقلة ومتعادية ، ثم ضاع القسم الآخر من ازدهارها بعد اكتشاف طريق الرجاء الصالح وبعد تحول التجارة العالمية نحو امريكا . ولم تفد الأمة العربية من آلاء الثورة الصناعية لأنها كانت ترزح تحت الاستعمار العثماني الذي كبل حيويتها وجمد تطورها . وقد تقهقرت صناعاتها التقليدية المرتكزة الى الحذق والذوق بسبب اقتحام السلع الصناعية والأمريكية المنتجة آلياً ، وهكذا بدأ الاجانب استعمارهم

اطلبوا الاجزاء الاحد عشر

من الترجمة الكاملة لكتاب

البؤساء

لشاعر فرنسة العظيم

فيكتور هيجو

نقلها الى العربية الاستاذ

منير البعلبكي

واطلبوا من المكتبات ايضاً المجلدات : الاول والثاني والثالث وهي تشتمل على الاجزاء العشرة الاولى من هذا السفر النفيس . دار العلم للملايين

الاقتصادي للشعوب العربية في حمى الامبراطورية العثمانية . وبعد انهيارها احتلوا مكانها ومزقوا اوصال الأمة العربية وشيدوا اقتصاد كل جزء منها حسب مصالحهم الخاصة ، وبذلك أخروا ايضاً تطورهـــا الأجتماعي ، واصبحت مواردها الاقتصادية الضامرة لا تفي بحاجة سكانها المتزايدين .

وهذه على سبيل المثـــال نتف من تقرير قدمته اللجنة الاقتصادية في مجلس الاتحاد الفرنسي اواخر عام ١٩٥٥ ، الى المجلس الاقتصادي الفرنسي الاعلى وفيه من الصراحة ما يغني عن كل تعليق :

يقول التقرير : بعد عشرين عاماً اي في سنة ١٩٧٥ يتحتم على بلاد الجزائر ان تكفل غذاء ١٥ مليون نسمة اي بزيادة ٤٧٪ عن العدد الموجود اليوم ، وهي الآن تستطيع بصعوبة تغذية سكانها الحاليين . ففي الجزائر اليوم ٨٥٠،٠٠٠ متعطل عن العمل ، منهم ٤٠٠،٠٠٠ متعطل بصورة دائمة ، وكلهم من العرب سكان البلاد الاصليين ؛ بينما يعيش في الجزائر ١،٢٠٠،٠٠٠ اوروبي ليس بينهم متعطل واحد . .

والدخل الفردي المتوسط في الجزائر لا يزيد عن ٤٠،٠٠٠ فرنك سنوياً ، وهو موزع توزيعاً سيئاً ، لأن الدخل المتوسط للاوروبي يصل الى ١٠٠،٠٠٠ فرنك بينما لا يصل دخل الجزائري المسلم الى ٢٠،٠٠٠ فرنك .

وعدا عن ان الاوروبيين يقبضون على التجارة والصناعة ، فانهم تملكوا بالوسائل المعروفة ٢،٤٠٠،٠٠٠ هكتـــار من اجود الاراضي الزراعية . .

فهل نقبل بالتعايش السلمي على اساس ان يظل الحال في الجزائر وسائر البلاد العربية المستعمرة على ما هو ؟

اما النزاع القائم بين الكتلتين السوفياتية والانكلوامريكية ، فقد لا يكون للعرب ضرر منه ، لان العرب قد استفادوا وسيستفيدون من هذا الخصام . والكتلة السوفيتية بحكم مصالحها ومبادئها تؤازر الشعوب المغلوبة للكتلة الاخرى وتقف الى جانبها ، فهي كالحزب المعارض في الندوات البرلمانية تحد من تعسف الكتلة الاخرى وتضطرها الى اتباع سياسة اقرب الى العدل والحكمة ، وليس للعرب على اي حال ان يشغلهم الآن شاغل ما عن اتمام وحدتهم واستكمال حريتهم . حينذاك فقط يمكن ان يكون لهم في الوضع الدولي رأي فاصل .

القاهرة — عزة النص

اعلان

يقول الاستاذ « احمد بهاء الدين » رئيس تحرير مجلة « صباح الخير » المصرية الاسبوعية ، في تحقيق صحفي له عن بلد عربي شقيق ما يلي :

« وكل الكتب الديمقراطية في تفكيرها ممنوعة ، مثل لكي لا تحرثوا في البحر ، بقلم : خالد محمد خالد ؛ جواتيمالا ومأساة الديمقراطية فيها ، الحركات الفكرية في الاسلام ، بقلم : مصطفى الحاج ؛ مشروعات السنوات الخمس ، بقلم : راشد البراوي ، كفاح ابو القاسم الشابي ، بقلم ابو القاسم كرو ، الهند وسياسة الحياد ، بقلم : خيرات البيضاوي » .

(« صباح الخير » العدد ١٦ ، تاريخ : ٢٦ نيسان ١٩٥٦)

اقرأ اليوم هذا الكتاب :

الهند وسياسة الحياد

بقلم : خيرات البيضاوي

فهو يشرح لك شرحاً وافياً سياسة البنـــديت نهرو والرئيس جمال عبد الناصر ، في الحياد الايجابي ، وانتهاج سياسة وطنية متحررة ، والتعايش السلمي وغيرها مـــن الموضوعات السياسية الهامة التي يحتدم حولها اليوم الصراع العالمي .

من منشورات : دار البيضاوي - بيروت

ص . ب ٢٩٩٥ — هاتف : ٣١٣٠٧

الثمن : ١٠٠ قرش لبناني او ما يعادلها